الاتحادية، وايطاليا، حيث كانت الصحافة، الصهيونية منها والمتصهينة، تروّج لمقولة الارهاب الفلسطيني، وتعمل على الصاق أعمال العنف كافة بالفلسطينيين، دون التحقق من هوية مرتكبيها أو دوافعهم، الخ[٥١]. وفي الوقت عينه، تجاوز بعض الآراء تلك النظرة السطحية، محاولاً تقصي الدوافع والجذور. وقد عبّر البعض عن نظرة ثاقبة، حين رأى في السلوك الفلسطيني مظهراً من مظاهر «اليأس» من واقع قائم شديد السوء[٥٢].

ومن ناحية أخرى، دانت الحكومات الاوروبية عمليات العنف الفلسطيني، وان اقترنت تلك الادانة عند القلّة ببعض التحفظات. ففي فرنسا، تمّت الادانة في ضوء المبررات التي تسبب الظاهرة، كما تمّت ادانة السلوك الاسرائيلي والأعمال الانتقامية الصهيونية المقابلة. وقطعت الحكومة الفرنسية شوطاً على طريق «الموضوعية»، حين رأت ان «الارهاب الفلسطيني الذي يقابل بالادانة، لا يمكن ان ينتهي دون حل المشكلة الفلسطينية»[٥٣]. وقد تشابه موقف الحكومتين، الايطالية واليونانية، والموقف الفرنسي[٥٤]. ان هذا التفهم المحدود، لا ينفي ان محصلة الموقف الاوروبي كانت سلبية. فقد اعتبرت أوروبا ان العمليات الفلسطينية «تهدد معطيات الحضارة، وتتحدى القانون الدولي، وتشوّه سمعة الفلسطينيين، ولا تجدى نفعاً»[٥٥]. ولذلك، تناقص معدل العنف الفلسطيني في الخارج، ثم تخلّت مختلف التنظيمات الفلسطينية عن ذلك النهج، على أساس انه «غير مفهوم حتى من الاصدقاء»[٥٦].

في معرض تقويم اثر هذا الجانب من السياسة الفلسطينية، يتوجب أخذ المرحلة او الاطار التاريخي الذي تمت في اطاره في عين الاعتبار. كذلك علينا ان نشير الى ان الدول الاوروبية لم تكن سوى بيئة لعمليات العنف. ويبدو ان اثارة هذه البيئة وتحريك مياه القضية الراكدة فيها، كان هو العامل الأهم خلف عمليات العنف الفلسطيني؛ اذ لا يحتمل ان يكون المقصود هو تحقيق مكاسب استراتيجية عالية الشأن. ولذلك، يمكن القول ان السلوك الفلسطيني قد أثار التساؤلات حول من هم الفلسطينيون ؟ وما هي مطالبهم وأهدافهم ؟ كما انه مثّل «رد فعل مناسباً» ازاء النشاط الاستخباري والارهابي الصهيوني ضد العناصر النشيطة من الفلسطينيين في اوروبا الغربية. ومع ذلك، فان هذه الآثار الايجابية بدت محدودة، بالنظر الى نتيجتين هامتين تمخضتا عن العنف الفلسطيني في دول الجماعة الاوروبية. فمن جهة، تضررت الصورة الفلسطينية في هذه الدول ـ او تفاقم هذا الضرر ـ الأمر الذي عرقل جهود الدبلوماسية الفلسطينية، مما اقتضى تخصيص جهد ووقت منظمة التحرير الفلسطينية لأجل تحسين هذه الصورة، وربما استمر ذلك الجهد حتى الوقت الراهن. ومن جهة أخرى، قدمت العمليات الخارجية الفلسطينية فرصة للارهاب الاسرائيلي على ساحة الصراع، وبخاصة في جانب ضرب المدنيين، بحجة الانتقام، دون ان تلاحظ الدول الاوروبية هذا الامر في مرات عديدة[٥٧].

الدبلوماسية الفلسطينية ودول الجماعة الاوروبية

انطلق الجهد السياسي الفلسطيني في دول الجماعة الاوروبية على صعد ثلاث، هي: التعامل من خلال السياسة العربية العامة، والتعامل الثنائي كلّما أمكن ذلك مع الحكومات الاوروبية، ثم التعامل على الصعيد الشعبي، وبخاصة مع قوى اليسار الاوروبي. لقد انعكست حالة «انعدام الوزن» التي خلّفتها صدمة النكبة على تحجيم الفعل السياسي للشعب الفلسطيني. ودون الولوج في تفاصيل حقبة من الانكماش الفلسطيني، وهي تفاصيل أضحت معروفة على أي حال، يمكن القول ان الدبلوماسية الفلسطينية قد غابت لمدة تربو على العشرين عاماً، منذ عام النكبة. فلم تكن حكومة عموم